بسم الله الرحمن الرحيم

قتل القيادات وكيفية التعامل مع الحدث

للأستاذ عبد اللّه العدم
رحمه اللّه

إن مما يجب أن يرسخ في قلب كل مجاهد في سبيل الله ويصبح جبلةً ملازمةً له، وخلقاً يتخلق به أين ما حل وارتحل، أن دين الله عز وجل ليس مرتبطاً بالأشخاص، وليس قائماً على الهيئات مهما علا شأنها، وذاع صيتها، بل هو دينٌ قائمٌ بذاته منصورٌ لا محال، لا ينتكس بموت داعية، ولا يشوبه الوهن باستشهاد قائد، قد تكفل الله عز وجل بنصره والتمكين له، قال تعالى: { يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ • هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ }

ولقد وعظنا عز وجل في كتابه الكريم وبيّن لنا حقيقة العمل لهذا الدين، وأن هذا الدين ليس مرتبطاً بشخص، حتى لو كان ذاك الشخص هو أكرم الخلق أجمعين سيدنا الكريم على الله محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلم فقال منبهاً ومذكراً ومرشداً: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ }. قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره: قوله تعالى: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ } أي: ليس ببدع من الرسل، بل هو من جنس الرسل الذين قبله، وظيفتهم تبليغ رسالات ربهم وتنفيذ أوامره، ليسوا بمخلدين، وليس بقاؤهم شرطاً في امتثال أوامر الله، بل الواجب على الأمم عبادة ربهم في كل وقت وبكل حال، ولهذا قال: { أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُم } بترك ما جاءكم من إيمان أو جهاد، أو غير ذلك. { وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا } إنما يضر نفسه، وإلا فالله تعالى غني عنه، وسيقيم دينه، ويعز عباده المؤمنين، فلما وبخ تعالى من انقلب على عقبيه، مدح من ثبت مع رسوله، وامتثل أمر ربه، فقال: { وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ }، والشكر لا يكون إلا بالقيام بعبودية الله تعالى في كل حال.

ثم بيَّن رحمه الله الحال التي ينبغي أن يكون عليها كل صاحب دعوة، والصفة التي يجب أن يتصف فيها كل مبلغ رسالة، ومؤدي أمانة ربانية فقال رحمه الله: وفي هذه الآية الكريمة إرشاد من الله تعالى لعباده أن يكونوا بحالة لا يزعزعهم عن إيمانهم أو عن بعض لوازمه فقدُ رئيس ولو عظم، وما ذاك إلا بالاستعداد في كل أمر من أمور الدين بعدة أناس من أهل الكفاءة فيه، إذا فقد أحدهم قام به غيره، وأن يكون عموم المؤمنين قصدهم إقامة دين الله، والجهاد عنه، بحسب الإمكان، لا يكون لهم قصد في رئيس دون رئيس، فبهذه الحالة يستتب لهم أمرهم، وتستقيم أمورهم.

فصل: إن الحال التي يجب أن يكون عليها المجاهد في حال فقد قائد أو ذي شأن مطاع، أن يتحلى بالصبر والسكينة والوقار، وأن يحمد الله عز وجل، ويسأله الصبر والسلوان، والعوض في المصيبة، وأن يخلف الله المجاهدين والمسلمين خيراً مما أُخذ منهم، ولا ينبغي له أن يظهر بمظهر الجازع المغضب، ولا يصدر منه ما لا يليق وخاصة إن كان من أصحاب الأمر والنهي، أو ممن يشار إليه بالبنان، بل الواجب عليه أن يُصَبِّر إخوانه ويذكرهم بالله، ويذكرهم بالمصاب الجلل وهو وفاة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وليكن رابط الجأش، قوي العزيمة، نافذ البصر، وليكن له في الصديق أبي بكر خير قدوة وأحسن أُسوة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ولهذا لما مات النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت بالمسلمين أعظم نازلة نزلت بهم حتى أوهنت العقول، وطيشت الألباب واضطربوا اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة القعر، فهذا ينكر موته، وهذا قد أقعد، وهذا قد دهش فلا يعرف من يمر عليه ومن يسلم عليه، وهؤلاء يضجون بالبكاء وقد وقعوا في نسخة القيامة وكأنها قيامة صغرى مأخوذة من القيامة الكبرى، وأكثر البوادي قد ارتدوا عن الدين، وذلت كماته، فقام الصديق رضي الله عنه بقلب ثابت وفؤاد شجاع، فلم يجزع ولم ينكل قد جمع له بين الصبر واليقين، فأخبرهم بموت النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الله اختار له ما عنده وقال لهم: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ

أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين }. فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية حتى تلاها الصديق، فلا تجد أحداً إلا وهو يتلوها، ثم خطبهم فثبتهم وشجعهم، قال أنس خطبنا أبو بكر رضي الله عنه وكنا كالثعالب فما زال يشجعنا حتى صرنا كالأسود.

نعم بمثل هؤلاء الرجال تثبت القلوب، وترتفع الهمم، وتدب الحياة في الأوصال، وتصنع الأمجاد، ويدرك كل موحد أن لهذا الدين رباً يحميه، وأن هذه الأمة أمة خير ولود، وأن لهذا الدين رجالاً لا يعلمهم إلا الله قد صنعهم على عينه سبحانه وتعالى، فلا يدُبَّن اليأس في قلب أحدكم إن فقد قائد، أو ذهب مجاهد، أو اختارت يد المنون داعيةً موحداً، وما أجمل قول الشاعر:

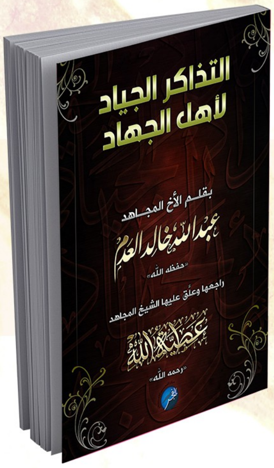
إذا سيدٌ منَّا خلاَ قامَ سيدٌ *** قؤولٌ لما قالَ الكرامُ فَعُولُ

ولتكن الدماء التي بذلها هذا الداعية أو ذاك القائد ناراً تؤجج دواخلك فتحرق بها أعداء الله، ووقوداً دافعاً لنصرة هذا الدين، ونوراً تهتدي به لتدرك ما وصل إليه من سبق، وهذا هو عنوان الحب الحقيقي إن كنت جاداً في حبك وإخلاصك لأولي الفضل، وتأمل ذلك في فعل الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم تجد مصداق ما سررنا إليك، والله الموفق لكل خير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فصل: وعلى طول هذا الطريق الطويل الدامي قد يصيب بعض رموز الدعوة والجهاد الوهن والضعف، ويغشاهم حب الدنيا وكراهية الموت، ويجلل طالعهم حب العاجلة، فينتكسون ويرتدون على أدبارهم، وينفضون أيديهم من الدعوة والجهاد، بعد أن كانوا أعلاماً لها ورموزا، ويغدو الواحد فيهم في صف العدوة المناوئة للجهاد والمجاهدين، نسأل الله العفو والعافية لنا ولإخواننا، قد يقع ما ذكرنا وقد وقع ولا حول ولا قوة إلا بالله، فعلى المجاهد في هذه الحالة أن يضع نصب عينيه قوله تعالى: { اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ }.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: أمر باتباع ما أنزل ونهى عما يضاد ذلك وهو اتباع أولياء من دونه، فمن لم يتبع أحدهما اتبع الآخر، ولهذا قال: { وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ } . قال العلماء: من لم يكن متبعا سبيلهم كان متبعا غير سبيلهم فاستدلوا بذلك على أن اتباع سبيلهم واجب فليس لأحد أن يخرج عما أجمعوا عليه.

فإذا عرض للمجاهد شيءٌ فليعرضه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ففيهما الهدي المبين، وليوطن نفسه على عدم الاتكاء على الأشخاص، ولا يعلق مصيره بأحد فالموالاة والمحبة تكون بقدر الإيمان، وليكن شعاره في هذا الطريق الطويل، الرجال يعرفون بالحق لا الحق يعرف بالرجال، والله الهادي والموفق إلى سواء السبيل.



من الكتاب "التذاكر الجياد لأهل الجهاد"

[AL-KIFAH MEDIA]